يَوْمٌ مَشْهُودٌ يعني يشهده اهل السماء واهل الارض تلخيصه ذلك يوم مشهود فيه الخلايق
الموقف لا يغيب عنه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون هم الخلايق والمشهود فيه اليوم
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به ولو جعل اليوم مشهودا بنفسه بلا اعتبار الاتساع
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك وَمَا نُؤَخِّرُهُ اى ذلك اليوم
المذكور ونحن قادرون على ان نقيمه الآن إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ اى الا الى وقت معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله عز وجل توضيحه اى الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود لانه لا نهاية له ثم ذكر
بعض اهوال ذلك اليوم فقال يَوْمَ يَأْتِ اى حين ياتى ذلك اليوم الموخر بانقضاء اجله كقوله
تعالى ان تاتيهم الساعة او يوم ياتى الجزاء الواقع فيه وقيل ياتى الله تعالى لقوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله قرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة والباقون
باثباتها والعامل فى الظرف محذوف اى اذكر يوم ياتى او ينتهى الاجل يوم ياتى وقيل عامله
قوله تعالى لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ اى لا تتكلم فيه لهول ذلك اليوم وشدته نفس
بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة الا باذن الله كقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وكقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم
فيعتذرون فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الايات وبين قوله تعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن
نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا
تدل على الكلام فى ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففى
بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفى بعض الاحوال يوذن لهم فى الكلام
فيتكلمون وفى بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله
لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن الله لها فى الشفاعة ثم قسم
اهل الموقف المجموعين للحساب فقال فَمِنْهُمْ اى من الخلق او من اهل الموقف بدليل قوله لا تكلم نفس
او من الناس اى بعضهم شَقِيٌّ وجبت له النار بمقتضى الوعيد وتقديمه على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار وَسَعِيدٌ وجبت له الجنة بموجب الوعد والاصل ومنهم سعيد حذف
الخبر لدلالة الاول عليه الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان
ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية
وسعادة اخروية وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين
ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار
فالشقى من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد من سبقت له السعادة فى الازل
عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من
احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا

وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير
لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة
الشريفة ومدفنهم فيها اماتنا الله بها والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان
بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشىء بتلك المخصرة او باليد
ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل
الموقف قسمان شقى وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم
اخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب الاعراف فى قول
والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهولاء مسكوت عنهم وهم تحت
مشية الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما شاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل
على نفى القسم الثالث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما نزلت فمنهم شقى وسعيد قلت
يا رسول الله فعلى ما نعمل على شىء قد فرغ منه او على شىء لم يفرغ منه قال بل على شىء قد فرغ
منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فى علمه تعالى
يعنى الذين سبقت لهم الشقاوة لعلمه تعالى بانهم يختارونها فَفِي النَّارِ اى مستقرون فيها
لَهُمْ فِيهَا اى فى النار من العذاب والهوان زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق واخره والمراد بهما وصف شدة كربهم وغمهم و
تشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
وقال مقاتل والضحاك الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده فى جوفه وقيل
الشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابو العالية الزفير فى
الحلق والشهيق فى الجوف والمعانى كلها قريبة بعضها من بعض والعبارات مختلفة قوله
خَالِدِينَ فِيهَا يعنى لابثين مقيمين فى النار وقوله عز وجل مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ما
مصدرية وقتية تقديره خالدين فى النار مدة دوام السموات والارض قال السيوطى فى تفسير
المختصر اى فى الدنيا فهو تاكيد للخلود لان الجمهور الاعظم من الامة قد اتفقوا على ان عذاب الكفار
دايم لقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وليست المدة المذكورة لتعليق دوام الكفار بدوام
هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم ودوامهم فيها وانقطاع دوامهما
كقوله تعالى اذا دكت الارض دكا واذا السماء انفطرت ويوم نطوى السماء كطى السجل للكتب والسموات
مطويات ونظايرها كثيرة مما يدل على خراب السموات والارض وانهدامهما ان تلك التوقيت والمدة للدلالة
على تابيدهم فى النار وعدم انقطاع العذاب وذلك بناء على منهاج قول العرب وعاداتهم فانهم
يعبرون عن الدوام والتابيد على سبيل المبالغة والتمثيل بقولهم لا اتيك ما دامت السموات والارض وما لاح
كوكب وما قام ثبير وما اختلف الليل والنهار قال امرء القيس فانى قايم ما اقام عسيب يريدون ابد

Copyright © King Saud University